بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أعزي –عن نفسي وعنكم– رسول الله (ص) وصاحب العصر والزمان (عج) بشهادة أمير المؤمنين (ع)، أتحدث[1] قليلا عن أمرين أرجو أن يجعل الله فيهما نفعا لي ولكم

الأمر الأول مرتبط بليالي القدر، ولابد أن أكثرنا قد يتفاعل مع ما يحصل في تلك الليالي فتحصل له حالة من القرب إلى الله عز وجل، تحصل له حالة التوبة والندم على سيئاته وكل إنسان أدرى بتقصيراته وسيئاته وخصوصا حينما يتذكر حياة أمير المؤمنين (ع) وهذا يؤثّر تأثيرا مضاعفا وينتج في الإنسان حالة خاصة

الآن لو حصلت لشخص حالة الارتباط بالله عز وجل حالة التسامي عن الذنوب حالة الندم على المعاصي، مثلا قرأ دعاء أبي حمزة أو أي دعاء آخر أو اختلى بنفسه فكّر في وضعه فحصلت له حالة من السمو والتقرب إلى الله عز وجل، فإذا كان ينظر إلى نفسه في تلك الحالة يجد أنه هو فعلا لا يريد هذه الذنوب والمعاصي، فهذه هي التوبة، الندم على الذنب توبة، وإذا الشخص تاب توبة نصوحا توبة خالصة لله عز وجل يعني تذكّر معاصيه وسيئاته وأراد أن يكون (عبدا لله عز وجل) وندم على تلك المعاصي التي أبعدته عن الله هذا تاب، الله تواب رحيم يقبل التوبة من عباده

لكن هنالك مسألة أخرى وهي أن التوبة تحصل دفعة واحدة، يعني نفترض إذا شخص تذكر ذنوبه وفكّر بأنه يتوب عنها: هل أستطيع أن أصبح قريبا من الله؟ أو لا، قد لا أستطيع؟ فهذا ليس تائبا، التوبة يجب أن تكون بقرار صارم: أنا لا أريد المعاصي أنا لا أريد أن أكون إنسانا سيئا أنا أريد أن أكون من عباد الله أنا أريد أن أكون مع أئمتي عليهم السلام، هذا القرار يجب أن يكون فوريا يعني أن الشخص يقرر دفعة واحدة، ليس من الضروري أن يتلفظ الشخص هذا القرار لكن في قرارة نفسه لو كان هذا القرار موجودا فهذا الشخص تاب، ولذلك حينما يندم على الذنوب يعني هذه الذنوب لا يريدها يا ليت أنها ما كانت موجودة في حياته، فهذا الشخص تاب، فالتوبة بطبيعتها تكون دفعة واحدة، لابد أنك أيها العزيز في أيام شهر رمضان فكرت وتدبرت وندمت على ما صدر منك وأنت أدرى بنفسك من غيرك فالتوبة حصلت

لكن هنالك أمر آخر وهو أن في ليلة واحدة لا يحصل الإصلاح، فالإصلاح ليس فوريا وإنما هو تدرّجي،

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) بهذا الحديث يوم الجمعة ٢١ من شهر رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/١١/٥م في مسجد البلوش، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة.

لأن الذنب يُبقي أثرا في النفس فالنفس تتأثر بالذنوب والمعاصي بالتدريج، نلاحظ أناسا بالتدريج تصبح حياتهم كحياة الحيوانات، هؤلاء من الأول ما كانوا كذلك، بالتدريج صاروا هكذا، مثلا شاب كان يذهب إلى المسجد يصلي وتحصل له حالات معينة، اقترب من شخص آخر فاسد بالتدريج تنازل تنازل إلى أن وصل إلى مرحلة قد يستهزئ بالحالات الإصلاحية إذا يراها في أحد، هذا بالتدريج يحصل

المعاصي مختلفة بطبيعة الحال، كثير من المعاصي مرتبطة بالدرجة الإيمانية للإنسان، هنالك معاصي الإنسان العادي لا ينتبه إليها، هنالك معاصي الإنسان المؤمن العارف بإمامه هو الذي ينتبه إليها، أهمها إهمال الشخص لمنهج الأئمة (ع) هذه أهم معصية وأهم سيئة وأهم ذنب في حياة الإنسان، الإنسان لا يبالي بمعرفة أئمته عليهم السلام، يكتفي بذكر أسمائهم وبالتعاطف معهم فقط، يهمل معرفة إمامتهم ولا يفكر في أمرهم، هذه المعصية مغفول عنها، بينما هذا لو حصل في حياة إنسان فأعماله لا تقبل، هذا من ضروريات المذهب أن جميع أعمال الإنسان مهما كانت عظيمة لا تُقبل إلا بالكون مع الأئمة عليهم السلام (كأئمة)، فهذا أهم شيء

وبالعكس هنالك المعاصي الأخرى إذا لا تصطدم بهذه الرابطة يعني لا تصل إلى مرحلة أن تضر بعلاقة الإنسان مع الأئمة (ع) -يعني يكون معهم- فتلك المعاصي قابلة لأن تُغفر ولو حسب الظاهر تبدو كبيرة مثلا، على أي حال المعاصي تختلف باختلاف درجة إيمان الشخص

الآن في ليالي القدر لابد أنك لا تطوفها ولابد أنك تحييها إما في مسجد أو بنفسك في البيت، مثلا أي مقدار تستطيع أن تحييها ساعة ساعتين أو أقل، تقوم آخر الليل بنيَّة أن تُعرِّض نفسك لرحمة الله النازلة في هذه الليالي ولعلها تشملك، ولابد أن تتذكر ذنوبك تستغفر الله عز وجل منها لابد أن يحصل هذا الشيء، وأتوقع أن تحصل لك حالة من الخشوع وتصل درجة تأذيك من ذنوبك إلى مرحلة البكاء وإن كانت هنالك عوامل مؤثرة أخرى مثلا: أناس يبكون أنت كذلك تتذكر ذنوبك وتبكي معهم لا بأس، هنا تحصل حالة الندم فإذن في هذه الحالة أنت من التائبين، الله يحب التوابين ويحبك أنت لأنك أصبحت من التائبين

لكن لابد أن يستتبع هذه التوبة الإصلاح -إصلاح الأمر إصلاح النفس- لا تكتفي فقط بأنك بكيت وأنك دعوت الله عز وجل بصدق أن يغفر ذنوبك، هذا لا يكفي، صحيح أنك أصبحت مصداقا لما يُذكر في كثير من الروايات أن استأنف فقد غُفِر لك[1] يعني ابدأ من جديد أنت إنسان جديد، لكن المشكلة هي بمجرد أن هذا الوضع ينتهي ترجع الأمور كما كانت إما فورا أو بالتدريج، لأنك بحاجة إلى إصلاح والإصلاح تدرّجي،

---

[1] وسائل الشيعة (١٠/٢٤٥)

الإصلاح هو الذي تشير إليه رواية الكافي (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[1]

هنا بالتدريج لابد أن تبرمج لنفسك: ماذا أفعل حتى لا أرجع إلى وضعي القديم؟ ماذا أفعل حتى أصلح أمري؟ هنا تبرمج تخطط تستشير أناسا ثقاة تقول لهم أنا أريد أن أغيّر وضعي أنا أريد أن لا أكون من مصاديق الرواية التي تقول (الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر)[2] أنا لا أريد أن أكون من الأشقياء، أنا أريد أن أكون من السعداء ممن فكّ الله رقابهم في هذا الشهر من النار ممن تحرروا ممن أصبحوا من عباد الله، أنا مؤهل أن أكون كذلك أنا أريد أن أُصلح أمري فماذا أفعل؟ هل عندك تجارب ساعدني؟ وهنا -كما قلت- أنت بحاجة إلى وسائل تستعين بها لإصلاح نفسك، التوبة لا تحتاج إلى شيء كثير، في أية حالة من الممكن أن تذكر ربك وتتذكر ذنوبك وتندم عليها وتخاف ربك فقد حصلت لك التوبة، أما الإصلاح فيحتاج إلى تدرج

من الوسائل المهمة التي أشرت إليها سابقا وهي الصداقات والروابط، لابد أن الروابط تتغير، روابطك القديمة التي ما كانت لها -على أقل التقادير- حساسية تجاه ضعفك وسيئاتك، مثلا أنت كنت تصادق أشخاصا هؤلاء لا يشعرونك أبدا بأنه توجد مشكلة في حياتك، بل قد يوحون إليك أن تتنازل، فقد ذكرتُ بأن المعاصي مختلفة قد الإنسان يصلي يصوم ولا يوجد له اهتمام بأمر أئمته (ع) والذي هو أساس الدين، في رواية عن أمير المؤمنين (ع) في الكافي (دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره، والسيئة فيه تغفر والحسنة في غيره لا تُقبل)[3] ركز على دينك، على أي حال أنا كررت هذا حتى لا يذهب فكرك بعيدا وتقول أنا الحمد لله أصلي وأصوم ولا أرتكب المعاصي الفقهية المعروفة، لا، المعاصي هي ليست معاصي فقهية فقط، هنالك معاصي أكبر مغفولة

الآن تبدأ بالإصلاح تبحث عن صاحب يعينك، في تلك الرواية (اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش)[4] فتبحث عن إنسان وهذا ميسور لكن بحاجة إلى مقدار من الجهد والجهاد، في القرآن الكريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[5] من خصال هؤلاء المؤمنون بأنهم ذليلون على المؤمنين، هذا ذل مسئول، يعني هذا صاحبي أنا أكون خاضعا له

---

(1) الكافي (٨٦/٢)

(2) وسائل الشيعة (٣١٣/١٠)

(3) الكافي (٤٦٤/٢)

(4) الكافي (٦٣٨/٢)

(5) (المائدة: ٥٤)

وذليلا وفي نفس الوقت مسئولا عنه ليس فقط أنه هو يرعاني، أنا كذلك أرعاه، هذا شيء مهم جدا (المرء على دين خليله)[1] من خليلك؟ خليلك من يعينك على أن تكون من مصاديق الرواية الشريفة: (من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان...)[2] تجد فيه مزيدا من الجد وهو عبد لله عز وجل وفي محضر الله عز وجل

هذا جانب وأعتذر إليكم أني أخذت من وقتكم، ما بقي من هذا الشهر إلا قليل إن شاء الله التوبة حصلت لك وحتى إذا ما حصلت سوف تحصل لأن الندم على الذنب توبة، وإن شاء الله أنت إنسان إمامي وتعرف المعاصي التي تُبعد عن الله وفق مقاييس الإمامة لا فقط مثل الآخرين، تبدأ بالإصلاح -إصلاح النفس- وهذا بحاجة إلى رفق وتدرج، يعني تبرمج خلال هذه المدة وتُدرب نفسك فتستمر على ذلك كما في بعض الروايات تستمر عليه لمدة سنة (قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه)[3]، بالتدريج بالتدريج تَثبُت قدمك في الإصلاح، أما التوبة لابد أن تكون دفعة واحدة، هذا بالنسبة إلى هذه المسألة وأرجو أنه إذا ساهم هذا الحديث في بلورة أمرك وإصلاح نفسك وسعيت في إصلاح غيرك فقد حققت ليلة قدرك

المسألة الثانية هي أننا نعيش مناسبة شهادة أمير المؤمنين (ع)، الشهادة التي كان يتمناها (ع) كما في نهج البلاغة (والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو، ولو قد حم لي لقاؤه، لقربت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم)[4] ما هي هذه الشهادة بحيث نستطيع أن نعرفها ونتلمسها؟ باعتبار أن منهج أئمتنا (ع) هو الدين، الدين هو صراط مسلوك والصراط المسلوك هو الذي الإنسان يستطيع أن يجربه ويعرفه، ليس كقضايا نظرية

أيها الأعزة فرّغوا أنفسكم لقراءة نهج البلاغة، هنالك بعض الفقرات في نهج البلاغة قد تكون نسبتها إلى أمير المؤمنين (ع) غير صحيحة لكن إجمالي نهج البلاغة يعطيك صورة عن العالم الذي كان يسعى أمير المؤمنين (ع) إلى تحقيقه، يعني أنت حينما تقرأه لا تتصور أنه كما يقال بأن في نهج البلاغة توجد مسائل فلسفية، لا، لا تذهب تجاه هذه الأشياء، لأنه بمجرد أن تتجه في هذا الاتجاه معناه أنك ضيعت الطريق فتصبح مسائل فكرية، لا، هذه الخطب ميسورة لك بإجمالها، أمير المؤمنين (ع) كان يتكلم بها يجاهد بها في سبيله في طريقه ويخاطب الناس أمثالنا، فلا تدقق إلا إذا صادفت كلمة لا تعرف معناها فراجع كتابا في اللغة، اقرأ لتعرف -حقيقةً- أن

---

(١) الكافي (٢/٣٧٥)

(٢) وسائل الشيعة (١٦/٩٤)

(٣) نهج البلاغة (الحكمة ٤٤٤)

(٤) نهج البلاغة (الخطبة ١١٩)

أمير المؤمنين (ع) ماذا كان يريد؟ لِم كان يعاني؟ لِم كان يتألم؟ لِم كان يريد أن يفترق عن هؤلاء؟ لِم كما في رواية مثلا (ملكتني عيني وأنا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد! فقال ادع عليهم، فقلت أبدلني الله بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني)[1]، لِمَ وماذا كانت المشكلة التي يعاني منها أمير المؤمنين (ع)؟ هذا يبيّن لك، ألا تريد أن تعرف إمامك؟ ألا تريد أن تعرف أمير المؤمنين (ع)؟! ولا تنتظر شخص يأتي فيأخذ كلمات من نهج البلاغة ويفسرها ويوسعها لك ويأخذها إلى هنا وهناك وأنت تضيع وتشعر بأن هذا ليس مرتبطا بك لأنه بحث علمي فلسفي وأمثال ذلك! أو يجعله شيئا موجّه للآخرين! مثلا الخطبة الشقشقية والتي نفرح حينما نجد بأنها هي ثابتة لأنها موجهة ضد الآخرين! (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهبا)[2]، لِم هذا التألم؟

إن شاء الله من خلال نهج البلاغة -كخطوة أولى- بالتدريج سوف تشعر بسمو، سمو ناتج عن سمو إمامك أمير المؤمنين (ع) ذلك السمو الذي انعكس على أصحاب أمير المؤمنين (ع): عمار، مالك، صعصعة، هاشم المرقال وغيرهم وغيرهم، فأنصحكم أيها الأعزة لا تطوّفوا هذه المناسبة في العشر الأواخر خاصة، قرر أن تفرّغ نفسك وتقرأه ولا تحلل، لا تضغط على نفسك ليس مطلوبا منك شيء، لا تطالب نفسك بشيء: أنا يجب أن أتفاعل أنا يجب أن أعمل، لا لا كل هذه الأشياء خلّيها، فلو قرأته بطبيعتك من دون تأثر بخلفية وبإيحاءات أناس تكلموا عن نهج البلاغة أو عن بعض فقرات نهج البلاغة وشوّشوا عليك وجعلوك تتصور أن نهج البلاغة يجب أن تفهمه بذلك الشكل، لا، لو استطعت أن تتحرر فإن كلام أمير المؤمنين (ع) يدخل قلبك

شخص من أصحاب أمير المؤمنين (ع) يُنقل عنه أنه حضر عند معاوية بعد شهادة أمير المؤمنين (ع) بمدة، قال له معاوية صِف لي عليا فقال اعذرني فأصر عليه، فوصفه وقال هكذا كان وهكذا يقول، يقال أن معاوية دمعت عينه[3]، يعني أمير المؤمنين كذلك كان، كلامه يدخل قلبك يغيّرك بشرط لا تتشنج بشرط أن تكون على سجيّتك على طبيعتك، تريد أن تعرف العالم الذي كان يريد أمير المؤمنين (ع) أن يحققه والذي سوف يتحقق على يد ابنه الأمل المنتظر (ع)، ما هو ذلك العالم؟ إذا عرفت هذا العالم سوف تقوم له في قرارة نفسك تحن إليه ترغب فيه

هذان أمران، الأمر الأول: التوبة، وسوف تحصل أكثر إن شاء الله وإذا لم تحصل إلى الآن سوف تحصل في

---

(١) نهج البلاغة (الخطبة ٧٠)

(٢) نهج البلاغة (الخطبة ٣)

(٣) تاريخ دمشق (٤٠٢/٢٤)

الأيام المقبلة إن شاء الله، ومبارك لك التوبة والله يحب التوابين ويحبك، لكن التوبة ليست كل شيء لابد أن تبدأ بالإصلاح وتبرمج كيف تحافظ على هذا وتطور نفسك وتغيرها، وإذا أنت بعد ذلك تصبح من القائمين لله عز وجل وليس ذلك على الله بعزيز، لا تستصغر نفسك

والأمر الثاني: وهو مرتبط بمعرفة أئمتك (ع)، هنا معاصيك تقل وحتى إذا صدرت منك معصية فالمعصية تستتبع دائما التوبة، وهكذا يحصل إن شاء الله

وفقنا الله تعالى لمراضيه ونرجو أن يشملنا ببركات هذه الأيام وبرحمته التي تسع كل شيء وتسعنا كذلك وأن يجعلنا في الدنيا مع أئمتنا (ع) ويحشرنا في الآخرة في ظلهم ومعهم حيث رضوان الله وحيث رسول الله (ص) والأئمة والأنبياء (ع) وأولياء الله الصالحين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين